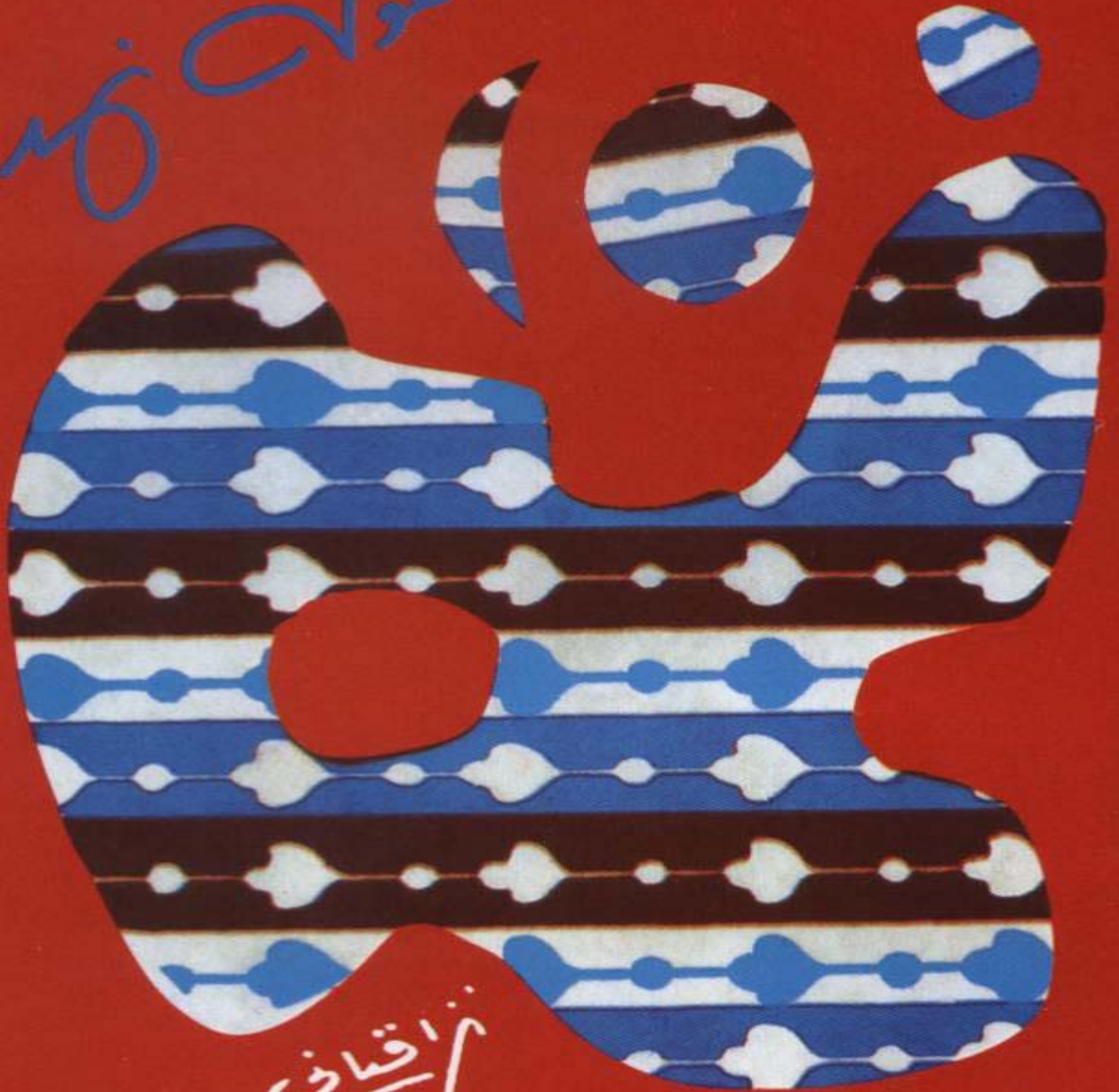


ظفورا شکر



آقمان

قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
Syrian Story

الطبعة الثالثة والعشرون

نيسان (أبريل) ١٩٨٩

في الشعر

حكاية الشعر كحكاية الورد التي ترتجف على الراية ، مخدةً من العبير.. وقميصاً من الدم ..

إنك تحبها هذه الكتلة الملتهبة من الحرير التي تغمز إصبعك ، وأنفك ، وخيالك ، وقلبك ، دون أن يدور في خلدك أن تمزقها ، وتقطع قميصها الأحمر ، لتقف على سر هذا الجهاز الجميل الذي يحدث لك هذه الهزة العجيبة ، وهذه الحالة السمحة ، القريرة ، التي تغرق فيها

وحين تفكر في هذا الإثم يوماً ، فتشقق هذه اللفائف المعطورة ، وتذبح هذه الأوراق الصبية ، لتمد أنفك في هذا الوعاء الأنيق ، الذي يفرز لك العطر ، ويعصر لك قلبه لوناً ، حين تدور في رأسك هذه الفكرة المجرمة ، لا يبقى على راحتك غير جثة الجمال .. وجنازة العطر .

وفي الفن ، كما في الطبيعة ، وفي القصيدة كما في الوردة وكما في اللوحة البارعة ، يجب أن لا نعد إلى تقطيع القصيدة ، هذا الشريط الباهر الندي من المعاني ، والأصباغ ، والصور ، والدندنة المنغومة .

حرام أن نمزق القصيدة لنحصى (كمية) المعاني التي تنضم عليها ، ونحصر عدد تفاعيلها ، وخفي زحافاتهما ، ونقف على (لون) بحرهما ..

فالإحصاء ، والسحاب ، والتحليل ، والفكر المنطقي يجب أن تتوارى كلها ساعة التلقين المبدع . لأن كل هذه الملكات العقلانية الحاسبة ، فاشلة في ميدان الروح ..

فالقمر .. هذا الينبوع المفضض الذي بذر على الكون جدائل الياسمين .. يحدث لك ولي ولكل إنسان حالة حبيبة ملائمة . إنك تفتح قلبك له ، وتغمس أهدابك في سائله الزنبيقي دون أن تعرف عن هذا (الجميل) أكثر من أنه قمر .

ولو اتفق أن أوضح لك فلكي سر القمر ، وأجواءه ، وجباله الجرداء ، وقممه المرعبة ، وأدار لك الحديث عن معادنه ، ودرجة حرارته ورطوبته ، إذن لأشفقت على قلبك ، وأسدت ستارتك ..

إذن ، فلنقرأ كما ننظر إلى القمر .. بطفولة ، وعفوية ، واستغراق .

فالتذوق الفني كما قال الفيلسوف الإيطالي كروتشه في كتابه (المجمل في فلسفة الفن) هو عبارة عن (حدس غنائي) . والحدس Intuition هو الصورة الأولى للمعرفة ، وسابق لكل معرفة ، وهو من شأن المخيلة ، وهو بتعبير آخر الإدراك الخالي من أي عنصر منطقي .

إذن فكل أثرٍ فني يجب أن يُستقبل عن طريق (الإدراك الحدسي) لا (المنطقي) أو (الذهني) ، لأن هذا النوع الأخير من الإدراك ميدانه العلم والظواهر المادية .
يقول كروتشه :

" .. على الناقد أن يقفَ أمام مبدعات الفنّ موقفَ المتعبد لا موقف القاضي ، ولا موقفَ الناصح ، وما الناقدُ إلا فنانٌ آخر يُحسُّ ما أحسه الفنان الأول فيعيش حدسه مرةً ثانيةً ، ولا يختلف عنه إلا في أنه يعيش بصورةٍ واعيةٍ ما عاشه الفنان بصورةٍ غي واعيةٍ .. "

ومتى تم انتقال هذه السيالة الدافئة من الأصباغِ ، والنغم ، والغريزةِ والإنفعال .. إليك ، تنتهي مهمة الشعر ، فهو ليس أكثر من (كهربة جميلة) تصدم عصبك ، وتنقلك إلى واحاتٍ مضيئةٍ مزروعة على أجفان السحاب .

*

مهمة القصيدة كمهمة الفراشة .. هذه تضعُ على فم الزهرة دفعةً واحدة جميع ما جنته من عطرٍ ورحيق ، منتقلةً بين الجبل والحقل والسياح .. وتلك – أي القصيدة – تفرغُ في قلب القارئ شحنةً من الطاقة الروحية تحتوي على جميع أجزاء النفس ، وتتنظّم الحياة كلها .

يجب أن لا نطلب من الشعر أكثر من هذا . ويتجنى على الشعر الذين يريدون منه أن يغلّ غلة ، ويُنْتج ريعاً . فهو زينةٌ وتحفة باذخة فحسب .. كآنية الورد التي تستريح على منضدتي ، لستُ أرجو منها أكثر من صحبة الأناقة .. وصدقة العطر ..

لذلك نشأتُ على كرهٍ عنيدٍ للشعر الذي يُرادُ من نظمه إقامةٌ ملجأً .. أو بناءً تكيّةً .. أو حصرُ قواعد اللغة العربية ، أو تأريخُ ميلاد صبي ، أو تعدادُ مآثر الميت على رخامة قبره .

قرأتُ في طفولتي تعاريفَ كثيرةً للشعر ، وأهزلُ هذه التعاريف " الشعر هو الكلامُ الموزونُ المُقفَى " .

أليس من المخجل أن يلقن المعلمون العرب تلاميذهم في هذا العصر ، عصر فلقِ الذرة ، ومرادِ القمر ، مثل هذه الأكذوبة البلهاء ؟
ماذا تقول للشاعر ، هذا الرجل الذي يحمل بين رثتيه قلبَ الله ، ويضطربُ على أصابعه الجحيم ، وكيف نعتذر لهذا الإنسان الإله الذي تداعب أشواقه النجوم ، وتفزع تنهداته الليل ، ويتكى على مخدته الصباح ، كيف نعتذر له بعد أن نقول له عن قصيدته التي حبكها من وهج شرايينه ، ونسجها من ريش أهدابه " إنها كلام " ! .

وكلمة (كلام) هذه .. تقفُ في قلبي يابسةً كالشوكة ، لأن ما يدور بين
الباعة على رصيف الشارع هو كلام . والضجة التي ترتفع في سوق
البورصة هي مجموعةٌ من الكلام الموزون .. أيضاً .
فهل الشعرُ عند سادتنا العروضيون هو هذا النوع من الكلام ، دون أن
يكون ثمةَ فرقٌ بين كلامٍ (ممتاز) وكلامٍ (رخيص) ؟
ويقالُ في تعريف ثابٍ للشعر إنه تصويرٌ للطبيعة . وأنا أقولُ إن الفن هو
صنع الطبيعة مرة ثانية ، على صورةٍ أكمل ، نسق أروع .
الطبيعة وحدها ، فقيرةٌ ، عاجزة ، مقيدة بأبدية القوانين المفروضة عليها
هذه الزهرة تنبت في شهر كذا .. وهذا النبع يتفجر إذا انعقدت السحبُ مطراً
، وهذا النوعُ من العصافير يرحل عن البيادر في أوائل الشتاء .
أما في الفنِّ فإنك تشمُّ رائحةَ الأعشاب لمجرد تصفحك ديوانَ ابن زيدون
، وإنك لتستطيع أن تستمع إلى وشوشة الينابيع وأنتَ أمام الموقد ، تقرأ ما
كتب البحريُّ وابن المعتزِّ .
أستطيع في أي موسم أن أغلق نافذتي ، وأمد يدي إلى مكتبي لأنعم بالورد
والماء وبالعطر وبزقزقة العصافير المغنية ، وهي تنفجر من دواوين
المتنبي ، وبولدير ، وبول فيرلين ، وأبي نواس ، وبشار ، فتُحيلُ مخدعي
إلى مزرعةٍ يصلي على ترابها الضوء والعبير .
الوردةُ الحمراء على الرابية تموت . ولكن الوردةُ المزروعةُ في قصيدة
فلانٍ لا تزال توزع عطرها على الناس وتقطر دمعها على أصابعهم .

*

إننُ فما هو الشعر ؟

كلّ ما قيل في هذا الموضوع لا يتعدى دراسة مظاهر التجربة الخارجية
لا التجربة ذاتها ، كما يدرس العالم النفسي نتائج الغضب والانفعال
والسرور على جسد الإنسان ، وكما يدرس علماء الفيزياء آثار التيار
الكهربائي من ضوء وحرارة وحركة .
وجميع ما قرأته من نظريات المعنى ، والفكرة ، والصورة ، واللفظ ،
والخيال ، ونسبة كل منها في البيت ، إنما تدرس آثار التجربة الشعرية في
العالم الخارجي ، أي بعد انتقالها من جبين الشاعر إلى الورق .
لا أجرؤ على تحديد جوهر الشعر .. لأنه يهزأ بالحدود . ثم ماذا يضيرُ
الشعر إذا لم نجد له تعريفاً ؟
ألَسنا نتقبل أكثرَ الأشياء التي تحيط بنا دون مناقشة ؟ فالروائح ، والألوان
، والأصوات التي يسبحُ كياننا فيها .. تبعثُ اللذةَ فينا دون أن نعرف شيئاً

عن مادتها وتركيبها . وهل تخسرُ الوردُ شيئاً من فتنتها إذا جهلنا تاريخَ حياتها ؟

لنتواضع إذن على القول : إن الشعرَ كهربةٌ جميلةٌ ، لا تعمر طويلاً ، تكون النفسُ خلالها بجميع عناصرها من عاطفةٍ ، وخيالٍ ، وذاكرةٍ ، وغريزةٍ ، مسربلةٌ بالموسيقا .

ومتى اكتستِ الهنيهةُ الشعريةُ ريشَ النغم ، كان الشعرُ . فهو بتعبير موجز (النفسُ الملحنة) .

لا تعرف هذه الهنيهةُ الشاعرةُ موسماً ولا موعداً مضروباً ، فكأنها فوق المواسم والمواعيد . وأنا لا أعرف مهنةً يجهل صاحبها ماهيتها أكثر من هذه المهنة التي تغزل النار ..

والذي أقرره ، أن الشعرَ يصنع نفسه بنفسه ، وينسج ثوبه بيديه وراء ستائر النفس ، حتى إذا نمت له أسباب الوجود ، واكتسى رداء النغم ، ارتجف أحرفاً تلهت على الورق ..

ولقد اقتنعتُ أن جهدي لا يقدم ولا يؤخر في ميعاد ولادة القصيدة ، فأنا على العكس أعيقُ الولادة إذا حاولتُ أن أفعل شيئاً .

كم مرة .. ومرة .. إتخذتُ لنفسِي وضعاً من يريد أن ينظم ، وألقيتُ بنفسِي في أحضان مقعدٍ وثير ، وأمسكتُ بالقلم ، وأحرقتُ أكثر من لفافة .. فلم يفتح الله عليّ بحرفٍ واحدٍ . حتى إذا كنتُ أعبرُ الطريق بين ألوف العابرين ، أو كنتُ في حلقةٍ صاخبةٍ من الأصدقاء ، دغدغني ألفُ خاطر أشقر .. وحملتني ألفُ أرجوحةٍ إلى حيثُ تقنى المسافات .

*

والشعرُ يحيطُ بالوجود كله ، وينطلقُ في كل الاتجاهات ، فترسم ريشته المليحَ والقبيحَ ، وتتناولُ المترفَ والمبتذلَ ، والرفيعَ والوضيع . ويخطئُ الذين يظنون أنه خطٌ صاعدٌ دائماً ، لأن الدعوة إلى الفضيلة ليست مهمة الفن بل مهمة الأديان وعلم الأخلاق . وأنا أو من بجمال القبح ، ولذة الألم ، وطهارة الإثم . فهي كلها أشياء صحيحة في نظر الفنان .

تصوير مخدع موسى ، واردٌ في منطق الفنِّ ومعقول ، وهو من أسخى مواضيع الفنِّ وأغزرها ألواناً . أما المومسُ من حيثُ كونها إناءً من الإثم ، خطأ من أخطاء المجتمع ، فهذا موضوع آخر تعالجه المذاهبُ الاجتماعية وعلمُ الأخلاق .

يقولُ مروتشه في نقد المذهب الأخلاقي في الفنِّ : " إن العملَ الفني لا يمكن فعلاً نفعياً يتجه إلى بلوغ لذة أو استعباد ألم ، لأن الفنَّ من حيثُ هو فنٌّ لا شأن له بالمنفعة . وقد لوحظَ من قديم الأزمان أن الفنَّ ليس ناشئاً عن

الإرادة . ولئن كانت الإرادة قوامَ الإنسان الخير ، فليست قوامَ الإنسان الفنان . فقد تعبرُ الصورة عن فعلٍ يُحمد أو يذم من الناحية الخلقية ، ولكن الصورة من حيث هي صورة لا يمكن أن تحمد أو تذم من الناحية الأخلاقية؟ لأنه ليس ثمة حكمٌ أخلاقي يمكن أن يصدر عن عاقلٍ ، ويكون موضوعه صورة .

" إن الفنان فنان لا أكثر ، أي إنسان يُحبُّ ويعبرُ ، ليس الفنان من حيث هو فنان عالماً ، ولا فيلسوفاً ولا أخلاقياً . وقد تنصبُّ عليه صفةُ التخلق من حيث هو إنسان ، أما من حيث هو فنان خلاق ، فلا نستطيع أن نطلب إليه إلا شيئاً واحداً ، هو التكافؤ التام بين ما يُنتج وما يشعر به .. " .
لو صح لنا أن نقبل ما زعمته المدرسة الأخلاقية في الفنِّ لمات الفنِّ مختنقاً بأبخرة المعابد ، ولوجب أن نحطم كل التماثيل العارية التي نحتها ميشيل أنجلو ، والصور البارعة التي رسمها رفايل .. لأنها إثم يجب أن لا تقع فيه العين .

لو ذهبنا مع أشياخ هذه المدرسة إلى حيث يريدون ، لوجب أن نُخرج من حظيرة الجيد قصيدةَ النابغة التي قالها في زوجة النعمان وقد انزلق منزرها عن نهديها .. شابين .. مرتعشين :

سقط النصفُ ولم تردْ إسقاطهُ

فتناولته واتفقنا باليــــدِ ...

ولكان علينا أن نلعنَ النابغة ، ونعتبره ضالاً لا يستحق أن نقرأ سيرته وأشعاره .

*

وبعدُ .. وبعدُ .. ففي يد القارئ حروفٌ دافئة تتحرك على بياض الورق ، وتتسلق أصابعهُ لتعانق قلبه .

هذه الأحرف لم أكتبها لفئةٍ خاصةٍ من الناس رَوْضوا خيالهم على تذوق الشعر ، وهياتهم ثقافتهم لهذا .

لا .. إنني أكتبُ لأي (إنسان) مثلي يشترك معي في الإنسانية ، وتوجد بين خلايا عقله ، خليةٌ تهتزُّ للعاطفة الصافية ، وللواحات المزروعة وراء مدى الظن ..

أريد أن يكون الفنُّ ملكاً لكل الناس كالهواء ، وكالماء ، وكغناء العصفير ، يجب أن لا يُحرمَ منها أحد .

إذن ، يجب أن نعممَ الفنَّ ، وأن نجعله بعيدَ الشمول . ومتى كان لنا ذلك استطعنا أن نجلب الجماهير المتهالكة على الشوك ، والطين ، والمادة الفارغة ، إلى عالمٍ أسواره النجوم ، وأرضه مفروشةٌ بالبريق .

متى جذبنا الجماهير إلى قمتنا ، نبذوا أنانيتهم ، وتخلوا عن شهوة الدم ،
وخلعوا أثواب رداءهم ، وهكذا يغمر السلام الأرض ، وينبت الريحان في
مكان الشوك .

إنني أحلمُ (بالمدينة الشاعرة) لتكون إلى جانب مدينة الفارابي
(الفاضلة). وحينئذ فقط . يكتشف الإنسان نفسه ، ويعرفُ الله ..
وفي سبيل هذه الفلسفة ، فلسفة الغناء العفويّ ، حاولت فيما كتبتُ أن أردّ
قلبي إلا طفولته ، وأتخير ألفاظاً مبسطة ، مهموسة الرنين ، وأختار من
أوزان الشعر أطفها على الأذن .
فإذا أحسّ القارئ بأن قلبي صار مكان قلبه ، وانتفض بين أضلاعه هو ،
وأنه يعرفني قبل أن يعرفني ، وأني صرتُ فماً له وحنجرة ، فلقد أدركتُ
غاييتي ، وحققتُ حلمي الأبيض ، وهو أن اجعلَ الشعر يقومُ في كلّ منزل
إلى جانب الخبز والماء ...

نزار قباني

١٩٤٧

مَنِّي

إن رفَّ يوماً .. كتابي
حديقةً في يديك
وقالَ صديكُ : شعرٌ
يقالُ في عينيكَ ..
لا تخبري الوردَ عني
إني أخافُ عليكِ
ولا تبوحِي بسري
ومن أكونُ لديكِ
ولتقرأيه بعمقٍ
ولتُسبلي جفنيكَ
ولتجعليه بركنٍ
مُجاورٍ نهديكَ
هذي وريقاتُ حُبِّ
نمتُ على شفتيكَ
عاشتُ بصدري سنيماً
لكي تعودَ إليكِ

أنهار

وتلكَ بضعةُ أزرارٍ .. لقد كسرت
على جداري .. فبيتي كله عبقُ

تعانقتُ عند شباكي .. فيا فرحي
غداً .. تسدُّ الربى بالورد .. والطرقُ

ما هذه العُلبُ الحمراء .. قد فُتحتُ
مع الصباحِ ، فسالَ الوهجُ والألقُ

لي عُرفةٌ .. في دروب الغيمِ عائمةٌ
على شريطِ ندى ، تطفو وتنزلُ

مبنيةٌ من غُيِّماتٍ مُنْتَفَةٍ
لي صاحبان بها .. العصفورُ .. والشفقُ

أمام بابي .. نجوماتٌ مَكْـوَمَةٌ
فتستريحُ لدينا .. ثم تنطلقُ ..

فللصباحِ مرورٌ تحسنتِ نافذتي
وفي جوارِ سريري ، يرتمي الأفقُ

كم نجمةٍ حرةٍ .. أمسكتها بيدي
وللتطلعِ غيري ، ما له عُنُقُ

يقصِّرُ الشعرُ من عُمرِي ويتلفني
إذا سعيتُ ، سعى بي العظمُ والخرقُ

النارُ في جبهتي .. النارُ في رئتِي
وريشتي بسعالِ اللونِ تختنقُ ..

نهرٌ من النارِ في صدغي يعذبني
إلى متى ، وطعامي الحبرُ والورقُ ؟

وما عتبتُ على النيرانِ تأكلني
إذا احترقتُ ، فإن الشهبَ تحترقُ

إني أضأتُ .. وكم خلقٍ أتوا ومضوا
كأنهم في حسابِ الأرضِ ما خلَقوا ..

* * *

غداً ستحتشدُ الدنيا لتقرأني
ونخبَ شعري ، يدورُ الوردُ .. والعرقُ

اليومَ بضعةَ أزرارٍ .. ستعقبها أخرى
وفي كلِّ عامٍ ، يطلعُ الورقُ ..

بلادي

مِنْ لثَغَةِ الشَّحْرُورِ ، مِنْ
بَحَّةِ نَيْيِ مُحْزَنَةٍ

مِنْ رَجْفَةِ الْمُوَالِ .. مِنْ
تَنْهَاتِ الْمُنْذَنَةِ ..

مِنْ غَيْمَةٍ تَحْبِكُهَا
عِنْدَ الْغُرُوبِ الْمَدْخَنَةِ

وَجُرْحِ قِرْمِيدِ الْقَرْيِ
الْمَنْثُورَةِ الْمَزِينَةِ ..

مِنْ وَشُوشَاتِ نَجْمَةٍ
فِي شَرْقِنَا مَسْتَوْطِنَةٍ

مِنْ قِصَّةِ تَدْوَرٍ
بَيْنَ وَرْدَةٍ .. وَسَوْسَنَةٍ

وَمِنْ شَذَا فَلَاحَةٍ
تَعْبِقُ مِنْهَا (الْمِجَنَّةُ)

وَمِنْ لِهَاتِ حَاطِبِ
عَادِ بَفَاسٍ مُوهَنَةٍ ..

جِبَالِنَا .. مَرْوَحَةٍ
لِلشَّرْقِ .. غَرْقِي ، لِيِنَّةِ

تُوزَعُ الْخَيْرَ عَلَى الدُّنْيَا
ذُرَانَا الْمُحْسِنَةِ

يطيبُ للعصفور أنْ
يبني لدينا مسكنه ..

ويغزلُ الصفصافُ ..
في حُضن السواقي موطنه

حدودنا بالياسمينِ
والندى محصنه

وردنا مُفتحُ
كالفكرِ الملوّنه ..

و عندنا الصخورُ تهوى
والدوالي مُدمنه

وإنْ غضبنا .. نزرع
الشمسَ سيوفاً مؤمنه ..

* * *

بلادنا كانت .. وكانت
بعدَ هذا الأزمنه ..

على الغيمِ

قرشتُ أهدابي .. فلن تتعبي
نزهتنا على دمِ المغربِ

في غيمةٍ ورديةٍ .. بيتنا
نسبحُ في بريقها المذهبِ

يسوقنا العطرُ كما يشتهي
فحيثما يذهبُ بنا .. نذهبُ .

خذي ذراعي .. دربنا فضةً
ووعدنا في مخدعِ الكوكبِ

أرجوك .. إن تمسحت نجمة
بذيل فستانك ، لا تغضبي ..

فإنها صديقة .. حاولت
تقبيل رجلك ، فلا تعتبي
* * *

ثقي بحبي .. فهو أقصوصة
بأدمع النجوم لم تكتب

حبي .. بلون النار، إن مرة
وشوشة عنه الحب، يستغرب

لا تسأليني .. كيف أحببتني ؟
يدفعني إليك .. شوق نبي ..

و الله .. إن سألتني نجمة
قلعتها من أفقها .. فاطلبي ..

هل كان ينمو الورد .. في قمتي ؟
لو لم تهلي أنت في ملعبي

و مطلبي لديك ما يطلب
العصفور عند الجدول المعشب

و أنت لي .. ما العطر للوردة
الحمراء .. لا أكون إن تذهبي ..

وشوشة

في ثغرها ابتهاج
يهمس لي : تعال

إلى انعتاقٍ أزرقٍ
حدودهُ المحالُ

نشرُدُ تيّاري شذا
لم يخفقا ببالٍ

لا تستحي .. فالورد في
طريقنا تـلالُ

ما دمت لي .. مالي وما
قيلَ ، وما يُقالُ ..
* * *

وشوشةٌ كريمةٌ
سخيةٌ الظلالُ

ورغبةٌ مبجوحةٌ
أرى لها خيالُ

على فمٍ يجوعُ في
عروقه السؤالُ ..

يهتفُ بي عقيقهُ
غداً لك النوالُ
* * *

أنا كما وشوشنتني
ملقىً على الجبالُ

مخدتي طافيةٌ
على دمِ الزوالُ

زرعتُ ألفَ وردةٍ
فدى انفلاتِ شالُ

فدى قميصٍ أخضرٍ
يوزعُ الغلالُ ..

قومي إلى أرجوحةٍ
غريقةٍ الحبالُ

نأكل من كرومنا
ونطعمُ السلالُ

ونشربُ الفمَ الصغيرَ
سُكراً حلالُ

إن أَلِثمَ اليمينَ منكِ
قلتِ : والشمالُ ؟

لا تسألِي : تُحِبِنِي ؟
كنتُ ولا أزالُ

بيت

قالتُ : حرامٌ أن يكونَ لنا
على أراجيحِ الضياءِ .. بيتٌ ؟

يغسلُ البريقُ شباكهُ
وسقفهُ طرزهُ النبتُ

وفيه آلاتُ الهوى كلها
الكوبُ .. والقربةُ .. والتختُ ..

كمنزلِ العصفورِ .. أرضى به
فيه الطعامُ السمحُ .. والصمتُ

أقولُ فيه كلَّ شيءٍ .. فلا
بُحِتَ بما كان .. ولا بُحِتُ

وبعدها ... لا بأسَ أن ننظفي
كالعطر ، لا حسٌ .. ولا صوتٌ ..

لولاك

أفكرُ .. لولاك
لو لم يَبْحُ عن عبيرك عيبُ
لو ان اشقارَ صباحي .. لم ينزرع فيه هُذبٌ ..
ولولا نعومةُ رجلكِ ..
هل طرّزَ الأرضَ عُشبٌ ؟
تدوسين أنتِ ..
فللصبحِ نفسٌ .. وللصخرِ قلبُ
تُرى يا جميلةُ ، لولاكِ ، هل ضجَّ بالوردِ دربُ ؟
ولولا اخضرارُ بعينيكِ ثرُّ المواعيد ، رحبُ
أيسبِحُ بالضوءِ شرقٌ .. ؟
أبيتلُّ باللونِ غربُ ؟
أكانتِ تذرُّ البريقَ الرماديَّ ، لولاكِ ، شُهْبُ ؟
أكانتِ ألوفُ الفراشاتِ في الحقلِ ، طيباً تعبُ ؟
لو أني لستُ أحبُّكِ أنتِ ..
فماذا أحبُّ ؟

على البيادر

وتقولين لي : أجيءُ مع الضوءِ
بحضنِ البيادرِ الميعادُ ..

أنا ملقى على بساطِ بريقٍ
حولي الصحوُ .. والمدى .. والحصادُ

جئتُ قبل العبيرِ ، قبل العصافيرِ ،
فللطلِّ في قميصي احتشادُ

مقعدي ، غيمةٌ تطلُّ على الشرقِ
وأفقي تحرُّرٌ وامتدادُ

أتملى خلفَ المسافات .. وجهاً
برعمتُ من مروره ، الأبعادُ ..

وتأخرتِ .. هل أعاقك عنيّ
كومُ الزهرِ ، أم همُ الحسادُ ؟

أم نسيتِ المكانَ حيثَ درجنا ؟
منزلُ الوردِ بيتنا المعتادُ

والجدارُ العتيقُ وكرُ حكايانا
إذا نحنُ في الهوى أولادُ ..

نحنُ من طرّزَ المساءَ نجوماً
ولنا عمرُ وردةٍ .. أو نكادُ ..

وزرنا على الجبالِ الدوالي
فاذا الأرضُ تحتنا أعيادُ

لم يكنْ حبكِ العميقُ ارتجالاً
هو رأيٌ .. وفكرةٌ .. واعتقادُ ..

لا تقولي أعودُ .. بُحَّ انتظاري
حبنا كان مرةً .. لا تعادُ

أين هُذبُ يمرُّ .. منسبلَ الريشِ
قصيفاً ، يُغمى عليه السوادُ

تعبَ الجرحُ يا ملونةَ العينِ
وطاشَ الهدى ، وضلَّ الرشادَ

فاهمري في المدى ضفيرةَ نورٍ
يسفحَ الخيرَ ، طيفك المرتادُ

وتلوحين .. ديمةً تعصرُ الرزق
فيجري الندى .. ويرضى العبادُ

فإذا منزلي مساكبُ وردٍ
وبثغري ، هذي القوافي الجيادُ
* * *

ومتى تُدركين .. أنكِ أنثى
عند نهديكِ .. يؤمنُ الإلحادُ ؟

على الدرب

زُرْ مرةً ما أصبحكُ !
وابسطُ عليّ أجنحتكُ
هيأتُ قلبي .. فالتصقُ
تعرفُ أنتَ مطرحتكُ
طرقكُ الودُ فدسُ
وشوشني : لنُ يجرحكُ
سألتُ فيكُ اللهَ يا معذبي أن يُصلحكُ
إقلعُ حبيبي .. أجرمَ الوشاحُ حينَ وشحكُ
واقعدُ معي ..
أبيعُ عمري كلهُ كي أربحكُ ..

الضفائر السود

" رآها تتسرح مرةً وتنشر
الليلَ عسلى على كتفيها ... "
ياشعرها .. على يدي
شلالَ ضوءٍ أسودٍ ..

ألمةُ .. ألمةُ
سنابلاً لم تُحصدِ ..

لا تربطيه .. واجعلي
عل المساءِ مقعدي ..
من عمرنا .. على مخدات

الشذا ، لم نرقد ..

* * *

وحررتُهُ .. من شريطٍ
أصفرٍ .. مغردٍ

واستغرقتُ أصابعي
في ملعبٍ .. حرٍ .. ندي

وفرّ .. نهرُ عتمةٍ
على الرخامِ الأجدِ ..

تُقَلِّني أرجوحةُ سوداءُ
حيرى المقصدِ ..

توزعُ الليل .. على
صباحٍ جيدٍ أجيدٍ

هناك . طاشتُ خصلة
كثيرةُ التمردِ ..

تسرّ لي .. أشواقِ صدرٍ
أهوجِ التتهدِ ..

ونبضةَ النهدي الصغيرِ
الصاعدِ .. المغردِ

تستقطرُ النبيذُ من
لونِ فمٍ لم يُعقدِ ..
وترضعُ الضياءَ .. من
نهدٍ .. صبيِّ المولدِ

* * *

قد نلتقي في نجمةٍ

زرقاء لاتستبعدي

تصوري ماذا يكون العمرُ
لو لم توجدي !

دومرنا القمر

جعتُ .. وجاع المنحدرُ
ولا أزال أنتظرُ ..

أنا هنا وحدي .. على
شرقِ رماديِّ السُترِ

مستلقياً على الذرى
تلهتُ في رأسي الفكرُ

وأرقبُ النوافذ الزرقَ
على شوقِ كفرٍ ..

أقول : ما أعاقها
فستانها .. أم الزهرُ ؟

أم وردةٌ تعلقتُ
بذيل ثوبها العطرُ ؟

أم الفراشاتُ .. ترامتُ
تحت رجليها .. زمرُ ؟

وأقبلتُ .. مسحوبةً
يخضرُ تحتها الحجرُ ..

ملتفة بشالها
لايرتوي منها النظرُ
أصبي من الضوء ..

وأصفي من دُميعاتِ المطرُ

قالتُ : صباح الوردِ ..
هذا أنتَ ، صاحب الصِغَرُ ؟

ألا تزالُ مثلما
كنتَ .. غلاماً ذا خطرُ ؟

تجعلني .. على الثرى
لُعباً .. وتقطع شعراً ..

فإن نهضنا .. كان في
وجوهنا ألفُ أثرُ

زمانَ طرزنا الربى
لثماً .. وألعاباً أُخرُ

مخوّضينِ في الندى
مغلغلينِ في الشجرُ

أي صبيِّ كنتَ .. يا
أحبَّ طفلٍ في العمرُ ؟
* * *

قلتُ لها : الله ..
ما أكرمها تلكَ الذكرُ

أيام كنا كالعصافير
غناءً .. وسمرُ

نسابقُ الفراشةَ البيضاءً
ثمَّ ننتصرُ

وندفعُ القواربَ الزرقاءَ ..

في عرض النهر ..

وأخطفُ القبلة من
ثغرٍ .. بريءٍ .. مختصرٍ ..

ونكسرُ النجومَ .. ذراتٍ
ونحصي ما انكسرُ ..

فيستحيلُ حوانا
الغروبُ .. شلال صورٍ

حكايةٌ نحنُ .. فعندَ
كلُّض وردةٍ خبرٍ !..
* * *

إن مرةً .. سُئلتِ قولي :
نحن دورنا القمرُ ..

سؤال

تقولُ : حبيبتِي إذا ما نموتُ
ويدرج في الأرض جثماننا

إلى أي شيء يصيرُ هوانا
أبيلَى كما هي أجسادنا ؟

أيتلفُ هذا البريقُ العجيبُ ؟
كما سوف تتلفُ أعضاؤنا

إذا كان للحبِّ هذا المصيرُ
فقد ضيعتُ فيه أوقاتنا
* * *

أجبتُ : ومن قال إنا نموتُ ؟
وتنأى عن الأرض أشباحنا
ففي غرفِ الفجرِ يجري شذانا

وتكمنُ في الجو أطيابنا

نفيق مع الورد صبُحاً ، وعند
العشياتِ تَقْفُلُ أجفاننا

وإن تتنخِـرِ الريحُ طيَّ الشقوقِ
ففيها صدانا وأصواتنا

وإن طننتُ نحلةً في الفراغِ
تطن مع النحل قبلاتنا ..

* * *

نموتُ ... أما أسفُّ أن نموتَ ؟
وما يبست بعدُ أوراقتنا

يقولون : من نحن ؟ نحن الذين
حرامٌ إذا ماتَ أمثالنا

ندوسُ فتمشي الطريق غللاً
ونُئمي الحشائشَ أقدامنا

سيسألُ عنا الرعاةُ الشيوخُ
وتبكي العصافيرُ أصحابنا

سيخسرنا الحرجُ والحاطبونُ
وتكسُدُ في الأرض أخشابنا

غداً لن نمر عليهم مساءً
ولن تملأ الغاب نيراننا

وزرُقُ الحساسين من بعدنا
سيطعمها ، وهي أولادنا

وفرشنا ، كورنا في الشتاء

بها اللففات .. وأعابنا

أتركها .. كيف نتركها ؟
وما أرهقت بعدُ أعصابنا

ومخائبنا في السياج العتيق ..
تدور .. تدور .. حكاياتنا

وأنتِ بقلبي ملصوقة ..
يطولُ على الأرض إغماؤنا
* * *

سنبقى .. وحين يعود الربيعُ
يعود شذانا .. وأوراقنا ..

إذا يُذكرُ الوردُ في مجلسٍ
مع الورد ، تسرد أخبارنا ..

شَرْق

كُسرتُ جرارُ اللونِ .. موعدنا
في الغيم .. تحت نوافذ الشرقِ ..

بمرافئ الفيروز .. رحلتنا
وعلى ستور المغرب الزرقِ ..

ومع العبير تسوخُ فرشتنا
ورديةً .. عطريةً الخفق ..

وطعامنا ورقُ الورودِ .. وما
في الليل ، من نغمٍ ومن عشقِ ..
* * *

أحرقنتي .. ومضيتِ كاذبةً
قولي ، أتلتدينَ في حرقِي ؟
عُمري يباحُ لمنزِرٍ خضلٍ

ثر المواسم ، غامر الرزقـ

أفدي وراء الوهم .. قادمةً
كالضوء ، من ترفٍ ومن ذوقـ

قبلَ المجيء .. أشمُّ فكرتها
وأحسُّ خطوتنا على عرقي
* * *

يا نوبتي .. وهواك ياكلني
صعبٌ بأن تتجاهلي شوقي

مُرِّي .. بجوع بيادري كرمًا
وتقطري سحباً .. على أفقي ..

من كوة المقهى

" مرّت كزوبعة العطر ...
تاركةً في جو المقهى خيطاً
من عبير ... "

لا تُسرعي .. فالأرضُ منك مزهرة
ونحنُ في بحيرةٍ معطره ..

إلى صديقٍ ، أم تُرى لموعدي ؟
تائهةً كالفكرة المحرره

والبسمةُ النعماءُ .. فوق ميسمٍ
مسترطبٍ ، تخجلُ منه السكره

أم أنتِ لا تبغين مثلي وجهةً
فتضربين في المدى مستهتره

إذا أردت الدفاء .. عندي مقعدُ
في هذه الزاوية المفكره

* * *

مَنْ علّم النجومَ كيف تختفي
بهذه الملتفة المُنزّره ؟

على جروحي .. نقلةً فنقلةً
تقلبي ، حديقةً مُخضوضره

تدفعني شلالَ عطرٍ .. والعبي
على نجوم المغرب المُكسره

تنبّه المقهى لخيطةٍ خيرٍ
من الشذا .. نرّميه ساقُ خيره

مهموسةُ الإيقاع .. يال جوقةٍ
صادحةٍ .. صائحةٍ .. مُعبّره ..

ويغزلُ اللهبَ حولي جوربُ
جُنّ على رخامةٍ مُشمره
* * *

من ربوةٍ شقراءَ .. جاءتْ نفضةُ
دفيئةُ .. شهيةُ .. مُعطره ..

تنتقل لي من نهدها .. رسالةً
غريقةً بالطيب ، رِيّا ، مُزهره ..

غنيةُ المرور .. مثلَ هذه
فلتكنِ الرسائلُ المحبره ..

لو تقبلين دعوتي .. فإنني
مُحيرٌ يبحثُ عن محيره ..

أقصمُ من لفاقتي مقاطعاً
وأحتسي أخيلةً وأبخره

ما ضرراً لو شاركتني مائدتي
في هذه الخمارة المثرثرة

لا تسألني ما اسمك؟ ما أنت؟ أنا
رطوبة القبو .. وصمت المقبرة ..

شمعة ونهد ..

يا صاحبي في الدفء
إني أختك الشمعة

أنا .. وأنت .. والهوى
في هذه البقعة ..

أوزع الضوء .. أنا
وأنت للمتعة ..

في غرفة فنانية
تلفها الروعة

يسكن فيها شاعر
أفكاره بدعة

يرمقنا .. وينحني
يخط في رقعة ..

صنعتُه الحرف .. فيا
لهذه الصنعة ..

يا نهد .. إني شمعة
عذراء .. لي سمعة
إلى متى؟ نحن هنا
يا أشقر الطلعة ..

يادورقَ العطور .. لم
يتركُ به جرعة ..

أحلمةٌ حمراءُ .. هذا
الشيءُ .. أم دمعهُ ؟

أطعمتهُ .. يانهذُ قلبي
قطعةً .. قطعةً ..

* * *

تلفتَ النهذُ لها
وقالَ : ياشمعةُ !.

لا تبخلي عليه مَنْ
يعطي الوري ضلعةً ..

إلى ساق ..

" نزلت من السيارة بحركة طائشة
فانزاح ستر .. وعريدت ثلوج ...
ثم استقرت في مقعدٍ وثيرٍ صالبةً
ساقِها ... "

يا انصفارَ الرخام .. جاعَ بيَ الجوعُ
لدى رقةِ الردا المسحوب ..

قيلَ : ساقُ تمرٍ .. وارتجفَ الفلّ
حبالاً ، على طريقٍ خصيبٍ ..

إنها طفلةٌ سماويةُ العين ..
بفيها ، بعدُ ، اخضلالُ الحليبِ

عربدتُ ساقها .. تُهيرَ أناقاتٍ
وسالَ البريقُ في أنبوبٍ ..
* * *

أقعدني .. بر عمي الصغير .. استقري
بعروقي .. بجفني المتعوب ..

أيُّ إنميين أشقرين .. تمدينَ ..
أضيفي إلى سجلِّ ذنوبي

ولدى الركبتينِ .. تعوي شراهااتي
على ثنيةِ اسمرارٍ رهيبٍ ..

يا صليبَ الإغراء .. من خصلتي زهرٍ
فاهي لمسحِ هذا الصليبِ

يا دروب الحرير .. ماتت مسافاتي
وقالت : لقد تعبت . دروبي
* * *

إذهبي . غيري مكانك .. إخفي
ترفَ الساق .. أنتِ أصلُ شحوبي

أدخليها لوكرها .. كلُّ عرقٍ
من عروقي يصيحُ : أين نصيبي ؟

القاهرة - ١٩٤٧

حلمة ..

تهزّهزي .. وثوري
يا خصلة الحريرِ
يا مبسم العصفور .. يا
أرجوحة العبيرِ ..
يا حرفَ نارٍ .. سابحاً
في بركتي عطُورِ
يا كلمةً مهموسةً
مكتوبةً بنورِ ..
سمرأءِ . بل حمراءُ .. بل
لونها شعوري
دميعةٌ حافيةٌ
في ملعبِ غميرِ ..
أم قبلةٌ تجمدتْ

في نهدك الصغير
وارتسمت شرارةً
مُخيفةً الهدير ..
مِظلةً شقراءُ .. فوقَ
قسوةِ الهجير ..
ملمومةً .. مضمومةً
فضيةً السرير ..
إبريقٌ وهجٍ .. عالقٌ
بهضبتي سرور ..
أم أنتِ شباكٌ هوى
مطرزُ الستور ..
مزروعةً قلَع دمٍ
ملونٌ المرور ..
فراشةً .. مخطوطةً
الجناح في غدير ..
ونجمةً مكسورةً الريش ..
على الصخور ..
دافئةً .. كأنها
مرتٌ على ضميري

* * *

يا حبةَ الرمان .. جُنِّي
والعبي .. ودوري ..
ومزقي الحرير .. يا
حبيبةَ الحرير ..

العين الخضراء

" جاءت وفي يدها دفتر صغير ...
ورغبت إلى الشاعر أن يكتب شعراً
في عينيها ...
فإلى صباح عينيها الخضراوين
هذه الحروف ... "

قالت : ألا تكتبُ في محجري ؟
وانشقِّ لي حُرَجٌ .. ودربٌ ثري

إنهض لأقلامك .. لا تعتذر
من يعص قلب امرأة .. يكفر ..

* * *

وارتعشت جزيرة في مدى
مزعرد .. معطر .. أنور ..

خضراء ، بين الغيم مزروعة
في خاطر العبير لم تخطر ..

يروون لي أخبار صفصافة
تغسل رجليها على الأنهر ..

لا تسبلي ستارة غضة
دمي .. لشباك هوى أخضر ..

خلى مسافاتي .. على طولها
بالله .. لا تحطمي منظرني ..

* * *

باءت مع الصباح لي غابة
تقول : من نتف لي منزري ؟

حشدت أوراق الربى كلها
ضمن إطار .. بارع .. أشقر ..

يا عين .. يا خضراء .. يا واحة
خضراء ترتاح على المرمر ..

أفدي اندفاق الصيف من مقلة
خيرة .. كالموسم الخير ..

يا صحو .. أطعنك من صحتي
لا يوجد الشتاء في شهري ..

* * *

في عينيها .. لونٌ مشاويرنا
نشرُدُ بينَ الكرمِ والبيدرِ

والشمسُ .. والحصادُ .. والمنحنى
إذ نهدك الصبيُّ لم ينفـر ..

أيّ صباحٍ لبـلادي غفا
وراءَ هُـدبٍ ، مطمئنٍ ، طري ..

عيناكِ .. يا دنيا بلا آخرٍ
حدودها .. دنيا بلا آخرِ

كسرتُ .. آلافَ النجومِ على
دربِ ستجـازينه .. فكـري ..

لـو ..

تصوري .. لو أنتِ لم تُوجدي
في ذلكِ الحفلِ البهيجِ الوضي

لو حينَ راودتُكِ عن رقصَةٍ
مهموسةٍ ، رأيتِ أن ترفضي

ولم تَقُلْ أمُّكِ مزهـوّةٌ :
إن الفتى يدعو .. ألا فانهضي ..

لو أن مندليكِ لم ينزلقُ
في زحمةٍ من ذلكي المعرضِ

فقلتُ : يا سيدتي .. لحظةً ! ..
ذهلتِ عن مندليكِ الأبيضِ

هنيهةً زرقاءُ لو أفلتتُ
مني لم أعرضُ .. ولم تعرضي

من ذلك التاريخ جاءَ الهوى
وقبلُ .. لم أعشَقْ ولم أبغضِـ

ليلتها ، عُدتُ إلى حجرتي
وبي عبيرٌ منك لا ينقضي ..

حاولتُ أن أنسى فلم بغمضُ
جفني ، وجفنُ الحبِّ لم يُغمضِـ

لو لم يكنُ ما كان .. لم ترتعشُ
لي ريشةٌ ، والشعرَ لم أقرضِـ

وظلَّ قلبي موحشاً ، يابساً
لم يعرفِ الدفاءَ .. ولم ينبضِـ

إلى مرداءٍ أصفرٍ ..

مرحباً يا رداءً .. يا صيحةَ الطيب
وصُبَّحتَ بالرضا .. يا رداءً

يا مريضَ الخيوطِ .. يا أصفرَ الهمسِ
صباحي عليكِ وردٌ وماءٌ ..

منْ بدربي رماكْ ؟ شلالَ لونِ
فطريقي براعمُ خضراءٍ ..

دُرتُ .. واحنرتُ .. واحتفلتُ بصدري
مسحتهُ بكفها الكبرياءُ ..

إنسدلِ يا طويلُ . دُسْ فوقُ نهدِ
زنبقي .. صلى عليه الضياءُ ..

منْ شحوبي عُزلتَ ثوباً أنيقاً
ترتديه عملاقةٌ فرعاءُ ..

أنتَ يا زارعَ الطريقِ .. حكايا
لو تعادُ الحكايةُ الصفراءُ ..

لكَ ما شئتُ .. معصمٌ ، وذراعُ
ثم نهْدُ .. مخدةٌ بيضاءُ ..

لكَ بالخصرِ وقفةٌ .. وعلى الردفِ
انهيارٌ .. وشهقةٌ .. وارتماءُ

ووراءَ الورااءِ .. ثمةَ خيطُ
أكلتُ منه حلمةً حمقاءُ ..

هي أعطتكَ ما تريدُ .. فصفقُ
واسترحُ يا رداءُ حيثُ تشاءُ ..

لحظةً .. يا معطرَ الخيطِ .. جاءتُ
بي للطيبِ ، شهوةٌ شهاءُ

أنتَ نفسي ، ولونُ خيطكَ لوني
وعطوري ، عطوركَ السوداءُ

فيكَ بعضُ الشتاءِ .. يا شاحبَ الخيطِ
وكلَّ الفصولِ عندي شتاءُ ..
* * *

يا خريفيةَ الرداءِ .. عُروقي
تحتُ أمطارِ عطركَ استجداءُ ..

مرسالة

وأخيراً .. أخذتُ منكِ رسالةً
بعد عامٍ لم تكتبي لي خلاله
عرّشتُ وردةً على الهدبِ .. لما
رحتُ أتلو سطورها في عجاله

أبريدُ الحبيبةَ الغضُّ .. هذا ؟
أم ربيعٌ مُجرُّرٌ أذباله
فعلَى أرضِ حُجرتي اندفعَ الزهرُ
وفوقَ الستارةِ المنهاله
مرحباً .. ضيفَةَ الهوى ، بجفوني
رقعةٌ ، عاطفيةٌ ، سلساله
كلُّ حرفٍ فيها خزانه طيب
يا له عطركِ النسائيِّ .. يا له
وعليها تركتِ ما يتركُ النهْدُ
صباحاً .. على نسيجِ الغلاله
إنه خطكِ النسيقُ .. أمامي
مدَّ فوقِي وروده .. وظلاله
أنثويُّ .. ململمُ الحرفِ .. ممدودٌ
أحبُّ انحصاره .. وانفتاله ..
أنتِ في غرفتي .. وما أنتِ فيها
صورةٌ في خواطري مُختاله
أنتِ بين الحروفِ .. هدبٌ رحيمٌ
وفمٌ .. رفَّ رحمةً ونباله ..
كلتُ شيءٍ .. حتى لهائكِ فيها
والسراجُ الذي يصبُّ سُعاله
وانقباضُ الفمِ الصغيرِ .. وصدْرُ
هاجمُ الحلمتينِ .. أفدي انفعاله
إنني سامعٌ صياحَ قميصٍ
شرسٍ .. زلزلَ الهوى زلزاله
وأعي إذ أعي .. انفلاته شعراً
عجري . أرخى عليَّ خياله
* * *

لا تكوني بخيلةً .. واكتبي لي
في عروقي مقررٌ كلُّ رساله ..

الشِّفَة

مُنْضَمَةٌ .. مُزْقِرَقَةٌ
مبلولةٌ كالورقة

سبحانه من شقّها
كما تشقُّ الفستقّة
نافورةٌ صادحةٌ
وفكرةٌ مُحلقةٌ
وعاءٌ وردٍ أحمرٍ
في غرفةٍ مُزوّقةٍ
وباقةٌ من كرزٍ
بأمها معلقةٌ
ماذا على السياج؟
أيُّ وردةٍ ممزقةٍ
قررتَ على لين الحرير
لوحةً موفقةً ..
وعرّشتَ على بياضٍ
وجهها كالزنبقة
رفيقةٌ للهدبِ ،
للجديلةِ المصفقةِ
للمقلةِ الخضراءِ ..
للغلالةِ المغرورقةِ
كم قبلةٍ زرعتها
منغومةٌ مموسقةٌ
على فمٍ كأنما
خلاقُهُ ما خلقهُ
وأنتِ فوق ساعدي
مأخوذةٌ مُستغرقةٌ
مرتاعةٌ .. ضفيرةٌ
حيرى ، وعيناً مُغلقةً
أبيننا .. ما بيننا
وأنتِ خجلى مُطرقةٌ ؟

إلى مضطجعة ..

.. ويقالُ عن ساقيكِ : إنهما
في العُرَيِّ .. مزرعتانِ للفلِ
ويقالُ : أشرطةُ الحريرِ .. هما

ويقالُ : أنيوبانِ من ظلِّ
ويقالُ : شلالانِ من ذهبِ
في جوربِ كالصبحِ مبتلِ
هربَ الرداءُ وراءَ ركبتها
فنعمتُ في ماءٍ .. وفي ظلِّ
وركضتُ فوق الياسمينِ .. فمن
حقلِ ربيعيِ إلى حقلِ
فإذا المياهُ هناكِ باكيةُ
تصبو إلى دفءٍ .. إلى وصلِ ..
يا ثوبها ، ماذا لديكِ لنا ؟
ما الثلجُ ؟ ما أنباؤه ؟ قلْ لي
أنا تحتَ نافذةِ البريقِ .. على
خيطِ غزيرِ الضوءِ ، مُخضَلِ ..
لا تمنعي عني الثلوجَ .. ولا
تُخفي ثنائبَ منزرٍ كحلي ..
إني ابنُ أخصبِ برهةٍ وجِدتُ
لا تُزعجي ساقيكِ ، بل ظلي ..

اسمها

هناك .. بعضُ أحرفِ
تصحبني كمُصحفي
أهذه جنينةُ ؟
تورقُ تحتَ معطفي
ففي الضحى .. وفي الدُجى
وفي الأصابعِ .. وفي ..
ما صيحةُ العصفورِ .. ما
تنهداتُ المعزَفِ ..
يا سحبةً من نغمِ
تومضُ ثم تختفي
يمرُّ ، نيساناً ، على
شوقي .. على تلهفي
ويلتوي سلكَ حريرِ
بارعَ التعطفِ

ينقلني من رفرِفِ
مُخضوضرٍ .. لرفرفٍ ..
أنا الذي يعومُ في
جرح هوىٍ لم ينشفِ
* * *
إسمكٍ .. لا .. عفوكِ
أنتِ فوقَ أن تُعرفي ..

غرفة

يا غرفةً .. جميعُ ما
فيها نسيقٌ .. حالمُ
تروي الهوى جدرانها
والنورُ .. والنسائمُ
أشياؤكِ الأنتى بها
نثيرةٌ .. تراحمُ
فدورقُ العبيرِ يبكي
والوشاحُ واجمُ
وعقدكِ التريكُ
أشجاهُ الحنينُ الدائمُ
وذلكَ السوارُ يبكي
حبنا .. والخاتمُ
في الركنِ منديلٌ .. يناديني
شفيفٌ فاعمُ
ما زالَ في خيوطه
منكِ عبيرٌ هائمُ
وتلكَ أثوابُ الهوى
مواسمٌ .. مواسمُ
هذا قميصُ أحمرُ
كالنارِ لا يُقاومُ
وتمَّ ثوبٌ فاقعُ
وتمَّ ثوبٌ قاتمُ
تُنكي جحيمي صورةً
تلفها البراعمُ

وأنتِ من ورائها
هُدبٌ . ووجهٌ ناعمٌ
ومبسمٌ ملممٌ
يُحارُ فيه الراسمُ
كأنما أنتِ هنا ..
طيفٌ .. وصوتٌ ناغمٌ
أنتِ التي في جانبي
أم الإطارُ الواهمُ
* * *

سمرأءٌ .. يا سمرأءُ .. بي
إليكِ شوقٌ ظالمٌ
عُودي ! على ضفائر الغيم
اللقاءُ القادمُ ..
لا تتركيني .. لم يكنْ
لولاكِ هذا العالمُ ..

الموعد

وموعدٍ .. لها معي
أرْمِي إليه أذرعِي
يهتفُ بي من شفةٍ
أنيقةٍ التجمعِ ..
قال : تلاقيكِ على
شريطِ لونٍ ممتعِ
وجهتنا شواطئِ العطرِ
السخيِّ الممرعِ
وقلنا فراشةً
صبيغةً ، فأسرعي ..
واحتشدِ الزمانُ ..
حولِ امرأةٍ .. وموضعِ
فرغبةٍ تنبُحُ بي
ورغبةٍ لم تشبعِ
يكادُ أن يطفو على
دمِ النجومِ مخدعي

تخطفُ أجفاني انخفافاً
وشاحٍ مُسرِعٍ
وامرأةٌ تعدو على
حدسي .. على توقعي
أكرمُ من أصابع الشتاء
هُلِّي .. وانبُعي ..
لا تبخلي ! في قبضتي
الدنيا ، إذا أنتِ معي ..

طفلتها

" بعد عشرة أعوام من الحب المستحيل ،
تمرّ بالشاعر طفلتها . فيأخذها بين
ذراعيه ليضم فيها صورة أمها ... "

طالعني دربي بها مرةً
ترفُّ كالفراشة الجامعة

طفولةٌ كم تبوحُ الربى
ومبسمٌ كأنه الفاتحة ..

وكنتُ شيعتُ زمانِ الهوى
وانطفأتُ زوابعُ نابحة ..

يا طيبها .. أعزَّ أنموذجٍ
من بعد تلك الغربة الفادحة

وكيفَ هذا كانَ ؟ قد أورثتُ
حتى رنينَ اللثغة الصادحة

حتى انثيالَ الشعر .. حتى
الفمّ الملموم .. حتى النظرة السارحة

يا وجهها الصغير .. غبَّ النوى
نفضتني .. جارحةً .. جارحةً ..

هل أقبلت طفلتها بعدها
تفجعني بأمرها النازحة ..

عشرة أعوامٍ .. على حبها
كأنه في الليلة البارحة ..

ولم تزل صورتها في دمي
غريقةً .. أنيقةً .. سابعةً

* * *

أخذتها مقبلاً باكياً
أما بها من أمها رائحة؟

إلى وشاحٍ أحمرٍ

سألتك ، كيفَ جمعتِ الجراحُ؟

فجاءت وشاحُ

يعربدُ .. قنديلَ نارٍ ووهجٍ ..

بكفِّ الرياحِ

ويطفو .. ويرسو .. وقد يستريحُ

ببعض النواحِ ..

على أي وجهٍ يرفُّ .. وينهارُ

أيِّ صباحٍ؟

إذا التمحَّ النهْدَ .. ثارَ .. وحرَّ

وهزَّ الجناحِ

وحطَّ على مقعدي زنبقٍ

وعشيَّ صдахِ ..

ليجمعَ زهراً .. ويقطفَ فلاً

ويجني أقاحِ

وعند الجدائلِ يحصدُ ظلاً

وعطراً مُباحِ

* * *

أبيحُ شبابي .. لنهرٍ لهيبِ

تلوى .. وراحِ

إلى أينَ؟ من صحتي تُطعمينَ

القبلة الأولى

عامان .. مرا عليها يا مقبلتي
و عطرها لم يزل يجري على شفتي
كأنها الآن .. لم تذهب حلاوتها
و لا يزال شذاها ملء صومعتي
إذ كان شعرك في كفي زوبعة
وكان ثغرك أحطابي .. وموقدتي
قولي . أفرغت في ثغري الجحيم .. وهل
من الهوى أن تكوني أنتِ مُحرقتي
لما تصالب ثغراننا بدافئة
لمحت في شفتيها طيف مقبرتي
* * *

تروي الحكايات أن الثغر معصية
حمراء .. إنك قد حبيت معصيتي
و يزعم الناس أن الثغر ملعبها
فما لها التهمت عظمي و أوردتي؟
يا طيب قبلك الأولى .. يرف بها
شذا جبالي .. وغاباتي .. وأوردتي
و يا نبيذية الثغر الصبي .. إذا
ذكرته ، غرقت بالماء حنجرتي ..
ماذا على شفتي السفلى تركت .. وهل
طبعتها في فمي الملهوب .. أم رنتي ؟
لم يبق لي منك .. إلا خيط رائحة
يدعوك أن ترجعي للوكر .. سيدتي
ذهبت أنت لغيري .. وهي باقية
نبعاً من الوهج .. لم ينشف .. ولم يمت
تركنتي جائع الأعصاب .. منفرداً
أنا على نهم الميعاد .. فالتفتي ..

همجية الشفتين

لفي تحاريرَ الهوى .. وامضي
أنا في السماء .. وأنتِ في الأرض ..

غوري مع الشيطان .. لا أسفُ
ولتبتلعك زوابعُ البغض ..

همجية الشفتين .. بنس هوىً
يقتاتُ من عصبي .. ومن نبضي

عطلتُ صدري عند تاجرةٍ
كالدود ، من روضِ إلى روض ..

حاولتُ أن أدنيك من قممي
فهزئتُ من عطري .. ومن ومضي

ما أنتِ من بعدي .. سوى طللٍ
أنقاضه تبكي على بعض ..

ذُبّة

" إلى راقصة شرقية "

.. وداستُ على أذرع الضوء ..

ترفضُ .. ميداءَ عذبةٍ

كقافلة العطر .. تطوي المدى

سحبةٍ إثرَ سحبةٍ

تلوبُ خلالَ المصابيح

نهرأ .. أضعُ مصبةٍ

على شعرها العجريِّ

بينُ مساءً .. ورهبةٍ

وفي ثغرها الكرزي المليء

تُبرِّعُ رغبةً

على نقلة الساق ..

يهمرُ تلجُ .. وتخضلُ تربةُ
وفي مقلعٍ للرخام ..
هنالك ، تنبضُ هضبةُ
إذا انفعلَ اللحنُ .. ثارتُ
شفاهاً .. وصدراً .. وركبةُ
وثدياً .. كزوبعة الفلِّ
يفتح في الريح دربه ..
تمدُّ إلى النجم .. ظفراً
غمسياً .. تحاولُ جذبهُ
وقد تنحني مرةً في الطريقُ
لتلقطَ حبةً ..

* * *

إذا انتحرَ اللحنُ .. راحتُ
تئنُّ على الأرض .. ذئبةً ..

إمراة من دخان

كيفَ فكرتِ في الزيارة ؟ قولي
بعد أن أطفأتُ هوانا السنينُ
إجمعي شعركِ الطويلَ .. يخيفُ
الليلَ .. هذا المبعثرُ المجنونُ
لا تدقي بابي .. وظلي بعمرِي
مستحيلاً ، ما عانقته الظنونُ
أنتِ أحلى ممنوعة الطيف ، خجلي
يتمنى مروركِ .. الياسمينُ
لا أريدُ الوضوحَ .. كوني وشاحاً
من دخانٍ .. وموعداً لا يحينُ
و لتعيشي تخيلاً في جبيني
و لتكوني خرافةً لا تكونُ
إتركيني أبنيك شعراً .. و صدراً
أنتِ لولايَ يا ضعيفةُ .. طينُ
و دعي لي .. تلوين عينيكَ إني
تتمنى ألوانَ وهمي العيون .
لا تجيئي لموعدي .. و اتركيني

في ضلالٍ ، يبكي عليه اليقينُ
و احرقيني .. إذا أردتِ ، فإني
لا أطيقُ الجمالَ حين يلينُ
أنا ما دمتِ في عروقي همساً
فإذا كنتِ واقعاً لا أكونُ!

نامر

أحبها أقوى من النارِ -
أشدَّ من عويلِ إعصارِ -

أقسى من الشتاءِ حبي لها
فيا لها من دفقِ أمطاري ..

لو مرَّ تفكيري على صدرها
أحرقها حرقاً بأفكاري ..

أو أفلتتُ حلمتها .. صدفةً
حدجتها بعين جزائر ..

لا يعرفُ الحدودَ حبي لها
كأنها تجري بأغوارِي
* * *

أريدها وحدي .. فلا يدّعي
غيري هواها .. تلك أطواري

أريدُ أن أطوي عليها يدي
من ريبتي .. من فرطِ إيثارِي

أحبها وحدي .. وما ضرني
أن تنقلَ النجومُ أخبارِي

فيشربُ الصباحُ أنوارها
ويشربُ الغروبُ أنواري ..

* * *

ما دُمتِ لي .. سرُّ المساءِ معي
وهذه الأقمارُ أقماري ..

وأنجمُ المساءِ لي منزرٌ
وفوق جفن الشرث مشواري

طائشة الضفائر

تقولين : الهوى شيءٌ جميلٌ
ألم تقرأ قديماً شعر قيسٍ ؟

أجئتِ الآن .. تصطنعين حباً
أحسَّ به المساءُ .. ولو تحسي

أطائشة الضفائر .. غادريني
فما أنا عبد سيدة وكأسٍ ..

لقد أخطأت ، حين ظننتِ أنني
أبيع رجولتي .. وأضيعُ رأسي

فأكبر من جمالكِ كبريائي
وأعنف من لظى شفتيكِ بأسي ..

* * *

خذي علبَ العطور .. وألفِ ثوبٍ
تعيشُ بمخدعي أشباحِ بؤسٍ ..

وصورتكِ المعلقةَ احملها
فمن خلفِ الإطارِ يطلُ أمسي

لقد طرزتُ دربكِ ياسميناً
فدستِ براعمي .. وقطعتِ غرسي

حملتِ لكِ النجومَ على يميني

وصغتُ لك الصباحَ وشاحَ عرسٍ

* * *

أتافهةَ الوصالِ .. إليّ ردي
عويلَ زوابعي .. وجحيم حسي

لقد شوهتي أيامي وعمري
فجفت ريشتي .. وانبحّ همسي

أعيديني إلى أصلي جميلاً
فمهما كنتِ .. أجمل منك نفسي

المستحمة

مراهقة النهد .. لا تربطيه
فقد أبدعت ريشة الله رسمه

وخليه .. زوبعةً من عبيرٍ
تهلُّ على الأرض رزقاً ونعمة

هو الدفاءُ . لا تُذعري إن رأيتِ
قميصكِ .. يزهو بأروع قمة

فما عدتِ يا طفلاتي طفلةً
سيهمي الشتا .. غيمةً بعد غيمة

ويخرجُ من فجوة الثوب نهْدُ
ليأكل من مسبح الضوء نجمةً ..

كبرتِ .. فحوضُ اغتسالكِ جُنَّ
بتلكِ المجردة المستحمة

وصدركِ مزرعةُ الياسمينِ
تفتقَ عن حلمةٍ .. بعد حلمةٍ ..

* * *

أشقراءُ . يا سحباتِ الحريرِ
زرعتِ الرمالَ .. اشتهاً وغلماً ..

تمدينَ للماءِ .. إصبعَ طفلٍ
فينسحبُ البحرُ .. حباً ورحمةً ..

تلاشيْ على مضجعِ أزرقٍ
وكوني لأواجه الهُوجَ لُقمةً ..

أخافُ على البحرِ أن تحرقيه
فلا تجرحي يا جميلةً حُلماً ..

* * *

صبيةٌ .. إني احتراقٌ كئيبٌ
فمري بدفءِ جروحي نسمه

أنا دخنةٌ منك .. لا تطمئنُ
فلا تطعميني لنهديك .. فحمة

عند امرأة ..

كانت على إيوانها
وكان يبكي الموقدُ

وكلُّ ما في بيتها
مُعطّرٌ .. مُمهّدٌ

يمدُّ لي ذراعهُ
يقولُ : عندي الموعدُ

حتى الرسومُ تشتهي
هنا .. ويندى المقعدُ

ومن وراء بابها

يعوي شتاءً ملحدُ

وفي الذرى رعدٌ .. وفي
أعماق رُوحى تُرعد

وفي صميمي غيمةٌ
تبكي .. وتلجُّ أسودُ
* * *

وكنتُ في جوارها
تصبُّ لي .. وأنشدُ

وعدةُ الشتاء
شعرٌ .. ونبيذٌ جيدُ

وشمعةٌ مسلولةٌ
أعجبها التنهيدُ ..

لم يبقَ إلا سعةٌ
وبعدها نُستشهدُ
* * *

كانتُ تئنُّ مثلما
يئنُّ ذئبٌ مُجهد

ترنو إليّ لبوةً
برغبةٍ لها يدُ ..

وساقها من عُتمةِ
الغطاء .. أفعى تشردُ

وجسمها تحت اللهب
مُرعبٌ .. مورَدُ

والعقدُ فوقَ ناهديها

سأبأ .. مؤرء

كعقءها ءرأزآ
آنهار .. آم آصعء ..
* * *

كانآ كما أرىءها
أأار فآها المؤءء

قء أءركآ ذوقآ وما
من النساء أعبء

فشعرها كما أأب
مُهملاً مآءء

ونءءها كسلء
من أاسمآن أعقء ..
* * *

كانآ إذن مماءءة
وكان أأكآ المؤقء

وكانآ الأأراأ آبكآ
والأألأ أأزبء

وفآ صمأمآ ءأمة
آبكآ ، وآلأ أسوء ..

مصلوبة النهءآن

مصلوبة النهءآن .. أأآ منهما
آركا الرءا .. آسلقا أضلاعي

لا آأسآ بآ الظن .. أنآ صءآرة
واللآل أُلُهبُ أأمر الأطماع ..

ردّي مآزركِ التريكةَ .. واربطي
متمرداً .. متبدلاً الأوضاعِ

لا تتركي المصلوبَ يخفقُ رأسه
في الريح .. فهي كئيبةُ الإيقاعِ
* * *

يا طفلةَ الشفتينِ .. لا تتهورِي
طبعُ الزوابعِ فيه بعضُ طباعي

أبحثُ عن ماضيِّ .. عن مُتَلَوِّنِ
شارِ بِأسواقِ الهوى بَيّاعِ

قالتُ : فما ماضيكَ ؟ قلتُ : تفرجي
جئتُ .. وأمراضُ .. وبئراً أفاعي

أضميري الموبوءُ .. أيوُ كذبةِ
مسمومةِ تُلْقِينِ في أسماعي

عودتُ نهدكِ وهو كومُ أناقةِ
أن ترهنيه للذتي .. ومتاعي
* * *

عُودي لأمكِ .. ما أنا بحمامةِ
فغريزةُ الحيوانِ تحت قناعي

ما أنتِ حينَ أريدُ ، إلا لعبةُ
بلهأً .. تحت فمي وضغطِ ذراعي ..

#-----#
#-----النهاية-----#
#-----#
#####

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
Syrian Story